الفكر العمراني عند الأزدي من خلال كتابه (تاريخ الموصل)

د. عبدالجبار حامد(*)

تمهيد

المؤرخون والجغرافيون والفلاسفة من العرب والمسلمين، لكل منهم فكر ومنهج يبحثون بموجبه في مجالات المعرفة كافة، فمنهم من كتب في التاريخ ومنهم من كتب في الجغرافية ومنهم من كتب في الفلسفة، كما كان هناك نمط من العلماء ذي فكر موسوعي كتبوا في اكثر من فن من فنون المعرفة، ومن خلال كتاباتهم تناولوا الفكر العمراني في المدينة الإسلامية، ويشمل هذا الفكر عمران المدينة بما فيها من أبنية وخطط، وكذلك عمران الاقتصاد والزراعة وعمران المجتمع، وما يجب ان يكون عليه ذلك المجتمع من المُثل والقيم، فمثلاً تحدث الفارابي عن المدينة الفاضلة، في حين نلحظ أنَّ ابن حوقل (ق 4هـ/ 10م) كتب عن اقتصاد المدينة الإسلامية في (صورة الأرض) إلى جانب فكرة الجغرافي، كما ركز ابن جبير في رحلته (ق6هـ/ 12م) على خطط المدينة الإسلامية فضلا عن وصفة للمجتمعات الإسلامية التي زارها، وكتب ابن خلدون في مقدمته عن المجتمعات الحضرية والبدوية وعاداتها وتقاليدها ونظمها. وغير ذلك.

(*) قسم التاريخ ـ كلية الآداب / جامعة الموصل.

ومن علماء الموصل الذين نهجوا مثل هذا المنهج أبو زكريا الأزدي المتوفى سنة (324هـ/945م) صاحب كتاب (تاريخ الموصل) الذي وصلنا منه جزؤهُ الثاني والمتفحص لهذا الكتاب يلحظ انه عني بتاريخ الموصل الحضاري والسياسي، وكان قد وقف على أحداثها موقف المعاين والمشاهد، ونقل ذلك بصدق وأمانة؛ لذلك فانه طرح فكرة العمراني من خلال وصفه للمنشآت العمرانية في الموصل، ومواقعها وأهميتها بالنسبة للمدينة الإسلامية، وكذلك ركز فكره العمراني على عمران المجتمع من خلال حديثه على قبائل الموصل ومناطق سكناها فضلاً عن ذكره لعلماء الموصل واختصاصاتهم، ولم ينس أمورا تخص الجانب الاقتصادي، وبالتالي فانه أظهر بوضوح النهضة العمرانية الواسعة التي حصلت في الموصل منذ تحريرها سنة (16هـ/637م).

وجدير بالإشارة أن الأزدي طرح فكرة العمراني وهو يدري بذلك؛ لأنه كان يتوخى الدقة في نقله للمعلومات، ويحاول أن يبحث عن الحقيقة، فعند مناقشته للروايات الخاصة بالموصل كان يرجح روايات أهلها بقوله: "لأن أهل البلد اخبر بما كان من أمرهم...."[1] أو انه يضع العهدة على أهلها كقوله: "على قول أهلها" أو "من قال ذلك منهم"[2] فضلاً عن ذلك فانه كان يتحرى الصدق في فكره هذا، وقد بين ذلك في خطابه الذي طرحه للقارئ عندما قال: "ولم أعمل هذا التاريخ من كتاب معمول مؤلف اعتمدت فيه على أمر الموصل خاصة، وإنما جمعته من كتب شتى، وقد ذكرت ما وجدت ولم أعدل عن الصدق" [3]، كما يمكن أن نلحظ صدقه

(1) الازدي، أبو زكريا يزيد بن محمد بن اياس بن القاسم، تحقيق: د. علي حبيبة، (القاهرة: 1967)، 2/ 228.

(2) نفسه 2/ 236.

(3) نفسه 2/ 250.

من خلال منهجه الذي اتبعه وهو منهج أهل الحديث معتمدا في ذلك على رواة مشهود لهم بصدق الرواية كقوله: " وحدثني بعض أصحابنا" [4] أو قوله: " اخبرنا عبدالله بن احمد بن حنبل" [5]، أو كقوله: "ما اخبرني به محمد بن اسحق عن أشياخه"[6] وغير ذلك كثير.

وتأسيساً على ذلك فقد جاء كتاب الازدي غنياً بفكره العمراني الذي يمكن النظر إليه من ثلاثة محاور: يتعلق المحور الأول بعمران المجتمع، والمحور الثاني عمران الاقتصاد، والمحور الثالث عمران المنشآت.

وجدير بالذكر أن الباحث ركز على الفكر العمراني عند الازدي دون الإشارة إلى الأحداث التاريخية وتفاصيلها؛ لأنها أشبعت بحثاً.

وأخيرا أرجو أن أكون قد وفقت في معالجة ما طرحه الازدي من أفكار وهو يتحدث عن إحدى المدن الإسلامية (الموصل) التي تعد نموذجاً للمدينة الإسلامية.

أولا: الفكر العمراني الاجتماعي

تناول الفكر العمراني الاجتماعي عند الازدي جوانب عدة، وهذه الجوانب تناولها من خلال ذكره للفعاليات الخاصة والعامة في المجامع فقد بحث عن رموز المجتمع ولاسيما التي تمسك زمام الأمور السياسية والدينية والاجتماعية والفكرية، لذلك فانه تناول الفئات النفيسة في المجتمع، ففي كل سنة يمر عليها- كان

---

(4) نفسه 2/ 252.

(5) نفسه 2/ 254.

(6) نفسه / 336.

يستخدم المنهج الحولي في تدوينه للتاريخ كان يستحضر الولاة والعلماء والقضاة والقادة.

فالولاة هم المطبقون للشريعة الإسلامية، وهم قادة المجتمع ومن خلالها يكون عمران المدينة لأنهم المدافعون عنها والذائدون لحماها، وهم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والساهرون على راحة الناس ورفاهيتهم، وتطبيق العدل في المجتمع، والضرب على أيدي اللصوص والمشعوذين والمفتنين، ولا تأخذهم في الله لومة لائم، ثم رعايتهم للعلماء ورجال الفكر وتقريبهم لهم وإغداق الأموال عليهم، كل ذلك كان له أهمية في بناء فكر المجتمع وعمرانه، وبعكسه فان المجتمع لا محال يدب فيه الخراب والفساد.

من هذا المنطلق فان الازدي كان شديد الاهتمام بولاة الموصل، فجاء ذكرهم في كتابه، فضلا عن اهتمامه بالخلفاء المسلمين، فقد ذكر من تولى الخلافة في السنوات التي تحدث عنها، في سنة (105هـ/ 723م) يقول: "وأمير الموصل وأعمالها والجزيرة بأجمعها مروان بن محمد بن مروان" [7]، ثم يذكر منجزات بعضهم فمثلاً يقول: "ان عبد الملك بن مروان ولى محمداً أخاه الموصل، ومحمد بنى سور الموصل سنة ثمانين بلا خلاف بين من يعلم السيرة من أهل الموصل" [8] وفي سنة (117هـ/735م) يقول: "وأمير الموصل

(7) نفسه 2/ 18.

(8) نفسه 2/ 25.

فيها الحر بن يوسف" [9]، ثم يتحدث عن منجزات الحر ومنها حفره للنهر المسمى باسمه[10].

وجدير بالذكر أن نجاح الولاة في تطبيق ما يصبون إليه يتم بمساعدة السلطة القضائية والسلطة التنفيذية. ففيما يتعلق بالسلطة التنفيذية فانه يذكر صاحب الشرطة الذي يقوم بتنفيذ أوامر القضاة، فمثلا في سنة (162هـ/778م) يذكر أن حمزة بن مالك الخزاعي قد تولى منصب صاحب الشرطة[11].

أما السلطة القضائية فقد اهتم بها كثيراً، وعكست فكر الازدي العمراني؛ لأن القضاة قدوة المجتمع، وهم الذين يطبقون الشريعة الإسلامية ويفصلون بين الحق والباطل، لذلك فانه ذكر أعدادا كبيرة منهم، ولا ننسى أن الازدي نفسه كان قاضياً بالموصل[12]، من هنا فانه كان يرى أن عمران المجتمع يكون بكثرة القضاة وما يقدمونه من نصح وإرشاد ومواعظ للعامة والخاصة على السواء، ولاسيما ما يصدر عنهم من فتاوى لتحقيق الغرض أعلاه، فضلا عن ذكره لنشاطات هؤلاء القضاة، فهم القدوة الحسنة في المجتمع. فمثلاً في سنة (140هـ/ 757م) يقول: "وعلى القضاء بالموصل لأبي جعفر /معمر بن محمد، وكان معمر فقيهاً مولى لتيم قريش، ويقال لآل أبي بكر الصديق وله رواية للحديث، وروى عنه المعافى بن عمران وغيره من المواصلة".

---

(9) نفسه 2/ 26.

(10) نفسه 2/ 26.

(11) نفسه 2/ 242.

(12) ينظر بحث الديوه جي، سعيد، "أبو زكريا الازدي مؤرخ الموصل وقاضيها (324هـ/945م)" ندوة دور الموصل في التراث العربي، مطابع التعليم العالي، الموصل: 1988.

وقد ينقل فتاوى الفقهاء التي تخص الجوانب الاجتماعية وماله علاقة بصلاح المجتمع، ففي سنة (120هـ/737م) يذكر اختلاف الفقهاء في مدينة (الرها) في أمر رجل طلق زوجته ثم انتهى ذلك بفتوى صدرت من قبل أحد الفقهاء بحضرة الوالي، رد الأخير بموجب تلك الفتوى المرأة إلى زوجها[13].

كما تناول الازدي عمق فكر القضاة وكيف يستطيعون الخروج من الامتحان الذي قد يختبرهم الخليفة بموجبه لمعرفة نجاحهم بمهامهم نظراً لخطورتها، فمثلاً في سنة (170هـ/ 786م) نصب هارون الرشيد، علي بن مسهر قاضياً على الموصل، وقد امتحن هارون الرشيد ذلك القاضي في مسألة تخص شاهد الزور، فكان جوابه ينم عن فكر ثاقب، نال رضاء الرشيد[14].

كما كان الازدي يبحث عن الأحاديث التي تستنبط منها المسائل الفقهية، والهدف من ذلك إلى وحدة التشريع والاعتقاد، فقد روى حديثا بسلسلة إسناد صحيحة عن بسرة بنت صفوان "إنها رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيده كتف شاة وسكين وهو يحز ويأكل، ثم أقيمت الصلاة فألقى السكين والكتف ولم يتوض"[15].

كما نقل الازدي الوصايا والعظات التي فيها هداية للمجتمع وتذكير للخلفاء والأمراء لكي يستقيموا في حياتهم ويكونوا قدوة للمجتمع، وهذا يعكس الفكر العمراني الاجتماعي عند الازدي الذي صور من خلال ما يجب ان تكون عليه سلوكيات الحكام المسلمين، فعندما بايع أبو جعفر المنصور ابنه المهدي، دخل عليه عمرو بن عبيد، فقال له أبو جعفر: "عظني يا عمرو"، قال: "يا أمير المؤمنين أن

(13) الازدي 2/ 173.

(14) نفسه 2 / 40 ـ41.

(15) نفسه 2 / 266.

الله أعطاك الدنيا بأسرها، فاشتر نفسك منها ببعضها، فان هذا الذي أصبح في يديك لو بقى في يد من كان قبلك لم يصل إليك فاحذر ليلة تمخض بيوم لا ليلة بعده" [16].

ولم يكتف الازدي بذلك بل ساق وصايا الخلفاء لولاة العهد من اجل تحقيق نفس الهدف أعلاه، ومن ذلك وصايا المنصور لابنه المهدي حين عهد له بولاية العهد فقال له: "يا أبا عبدالله استدم النعم بالشكر والقدرة بالعفو، والطاعة بالتأليف، والنصر بالتواضع، ولا تنس مع نصيبك من الدنيا نصيبك من رحمة الله... إن الخليفة لا يصلحه إلا التقوى، والسلطان لا يصلحه إلا العدل، وأولى الناس بالعفو أقدرهم عليه، وانقص الناس عقلاً من ظلم من هو دونه... لا تجلس مجلساً إلا ومعك من أهل العلم من يحدثك"[17].

فالعفو عند المقدرة والتواضع الخوف من الله والعدل ومصاحبة العلماء، كل واحدة منها تعني الكثير، وهي صفات القادة الذين خلدهم التاريخ، وهذا جوهر الفكر العمراني الاجتماعي عند الازدي. لذلك فقد أورد في هذا المجال ما قبل في الوعد والوعيد من اجل تقديم النصح لولاة الأمور:

إذا جاء الأمير وحاجباه وقاضي الأرض أرف في القضاء

فويل ثم ويل ثم ويل لقاضي الأرض من قاضي السماء [18]

ثم يؤكد الازدي في كل صفحات كتابه تقريبا على ذكر العلماء؛ لأن عمران المجتمع يكون بكثرة علمائه، وان هؤلاء العلماء هم أساس بناء الفكر والحضارة،

---

(16) نفسه 2/ 244.

(17) نفسه 2/ 201.

(18) نفسه 2/ 202.

لان الفكر العمراني عندهم يكمن بما يقدمونه من عمران العقل وتوجيهه الوجهة الصحيحة في مختلف مجالات المعرفة، ولا سيما علماء الحديث الذين اهتم بنقل أخبارهم مع ذكر ترجمات عنهم، فهو يذكر في كل سنة يتحدث فيها عمن توفى من العلماء في تلك السنة أمثال: أبي بكر الزهري، ومحمد مسلم بن عبيد الله بن شهاب [19] وسفيان الثوري [20] والخليل بن أبي رافع المزني الموصلي [21]، كما حاول الازدي أن يبين فضل العلماء على المجتمع ودورهم في استقراره ودفع الأذى عنه، كما حصل سنة (180هـ/ 796م) عندما ذهب هارون الرشيد إلى الموصل ليعاقب أهلها بسبب أحداث الخوارج، فتصدى لهذا الأمر كبار علماء الموصل: أمثال الفقيه المحدث أبي الفضل الأنصاري، وموسى بن مهاجر وهو من كبار محدثي الموصل وفقهائها، وسعد الفقيه وعتيق الفقيه، ولقوا أبا يوسف القاضي الذي كان مصاحباً للرشيد والذي كان له دور في عدول الأخير عن معاقبة أهل الموصل، وبذلك تجاوز أهل الموصل هذه المحنة بفضل رجال العلم[22].

وجدير بالذكر أن الفكر العمراني الاجتماعي يتجسد في العلاقة الجيدة بين الناس، تلك العلاقات التي تمخض عنها وحدة الهدف والمصير والتعاون والتضحية والإيثار من اجل بناء مجتمع معافى، وبعكس ذلك المجتمع يكون فريسة للأعداء، ولتثبيت هذه الفكرة فان الازدي استشهد بحديث للرسول صلى الله عليه وسلم هذه

(19) نفسه 2/ 152.

(20) نفسه 2 / 45.

(21) نفسه 2/ 241.

(22) نفسه 2/ 411.

المسألة سمعه من خالد بن عبدالله القسري بإسناد يؤكد هذه المسألة، قال:
"قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن أسد أحبب للناس ما تحب لنفسك" [23].

ولكي يؤكد الازدي ما ذهب إليه فانه طبق فكره هذا على أهل الموصل وحاول أن ينقل بسلسلة إسناد ما تناقله مشاهير الرجال حينما قال: "اخبرني محمد بن اسحق عن أشياخه قال: سئل محمد بن حميد عن رجال الموصل، فقال: إن فيهم ألف فارس لو لقيت بهم الروم لأنست بهم، وفيهم ألف فارس ما للعرب مثلهم" [24]، ثم يحاول أن يدعم فكره هذا من خلال ذكره للصالحين في الموصل الذين كان لهم شأن في هذا النمط من الفكر العمراني، فهو فضلا عن ذكره للعلماء فانه يضيف إليهم (الإبدال)، وهم أربعون في الموصل "كلما مات واحد بدال الله عز وجل مكانه واحدا" [25].

كما يتناول الفكر العمراني الاجتماعي عند الازدي موضوع آخر له علاقة بالمجتمع، وهو تفصيله بأنساب الموصليين، تلك الأنساب التي أرجعها إلى القبائل العربية التي هاجرت إلى الموصل والجزيرة الفراتية قبل الفتح وبعده، لذلك افرد صفحات طويلة لهذا الموضوع تحدث فيها عن قبائل الازد وبطونها وأسرها التي سكنت الموصل وغير الموصل مع ذكر جمل من أخبارهم ومناقبهم ومناطق سكناهم، ومن اشتهر منهم من المحدثين والأدباء والعلماء والقادة، كما ذكر المناصب التي أسندت إليهم في الموصل [26]،

---

(23) نفسه 2/ 284.

(24) نفسه 2/ 63.

(25) نفسه 2/ 391.

(26) نفسه 2/ 154.

وجاء ذلك التوزيع السكاني في الموصل أثناء حديثه عن المساجد والأزقة والمحال والأسواق وغير ذلك[27].

ولما كان الازدي يتحدث في فكره العمراني عن صلاح المجتمع، فانه يتحدث أيضا عما يصيبه من أزمات نتيجة الحروب التي حدثت في الموصل وغيرها، ولاسيما حروب الخوراج، وهدفه من ذلك بيان اثر تلك الأحداث على بناء المجتمع وإعماره، محاولا تقصي أسباب تلك الحروب معتمداً في ذلك على الرواة [28]. فمثلا في أحداث الموصل سنة (133هـ/ 750م) حاول البحث الكشف عن حقيقة تلك الأحداث التي لا يعرفها حتى القائمين على الحكم، ويقول في ذلك: "قالت حظية لأبي العباس: فيم قتل أهل الموصل؟ قال لها: - وعيشك- لا أدري" [29]، وفي وقعة الميدان بالموصل سنة (198هـ/ 813م) بين اليمانية والنزارية يفصل في سبابها لنفس الغرض أعلاه[30].

ثانياً: الفكر العمراني الاقتصادي

لا يخفى أن عمران المجتمع يرتبط بعمران الاقتصاد، وهذا ما أكده ابن خلدون عندما قال: "أحوال الناس تتبع نحلتهم من المعاش" [31]، لذلك فان الازدي امتلك الفكر العمراني الاقتصادي من خلال حديثه عن بعض الجوانب الاقتصادية التي كان يرى: أنها ذات أهمية كبيرة بالنسبة للدولة والمجتمع، وان ازدهار الاقتصاد يعني ازدهار وتطور الفكر الإنساني، فكان يحاول التطرق إلى واردات

(27) ينظر: 2/77-102، 113، 320.

(28) ينظر 2/78، 81، 90، 92، 101، 113.

(29) ينظر مثلاً الصفحات 69-77، 116-122، 125-135، 308، 343-351 وغير ذلك كثير.

(30) نفسه 2/151.

(31) نفسه 2/332.

بيت المال من جزية وخراج فضلاً عن وصفه للأسواق والأسعار وانعكاس ذلك على أحوال الموصل سواء كانت مستقرة أو مضطربة.

فمثلا يذكر أن مقدار الأموال التي كانت موجودة في بيت المال في زمن أبي جعفر المنصور كان مقدارها تسعمائة مليون وستين ألف درهم [32] مما يعكس الازدهار الاقتصادي في تلك المدة، التي تنعكس بلا شك إيجابيا على المجتمع، وهذه الأموال الكثيرة جاءت من مصادر عدة منها الجزية والخراج، لذلك نلحظ انه كثيرا ما يذكر مقدار خراج البلدان مع ذكر العمال الذين يقومون بجبايته، فضلا عن ذكره لصاحب ديوان الخراج [33]، ولم ينس في هذا الصدد العمال الذين كانوا يتعسفون في جباية الخراج، فمثلاً يذكر في سنة (181هـ/ 797م) أن الحرشي تعسف على أهل الموصل عندما طالبهم بخراج السنوات الماضية، مما حدا بالناس أن تترك أراضيها وقراها وترحل إلى مناطق أخرى هرباً من دفع الخراج المتراكم عليها مما أدى إلى خراب تلك القرى والأراضي، فضربه الناس مثلاً وقالوا: "لم يرضوا بمنجاب فجاءهم الحرشي" [34]، وقد جبى منهم ستة ملايين درهم وحملها للرشيد وكان في الرقة، فأمره الأخير بدفعها إلى جاريته خالصة، مما أغضب الحرشي واعترف بأنه قد اهلك الناس عندما جمع تلك الأموال [35] وبذلك فان الازدي نقل معاناة الناس نتيجة لهذا التصرف الذي كان أثره سلباً على الزراعة والاقتصاد ومعيشة الفلاحين.

---

(32) المقدمة، تحقيق: د. علي عبدالواحد وافي، ط1، 1962، 407/2.

(33) الازدي، 2/ 230.

(34) ينظر مثلاً الصفحات 76، 107، 173، 199، 275، 276، 339.

(35) نفسه 2/ 287.

كما أوضح مقدار الجزية المفروضة على أهل الذمة في الموصل التي كان قد حددها عمر بن عبدالعزيز سنة (101هـ/719م) بمقدار ثمانية وأربعين درهماً للأغنياء وأربعة وعشرين درهما للطبقة الوسطى، واثني عشر درهماً للفقراء[36].

وقد تنبه إلى الأوضاع الاقتصادية من خلال وصفه للأسواق، لأن أحوال الأسواق تعكس الوضع الاقتصادي للناس سلباً أو إيجابا. فهو يربط بين حال الأسواق وأوضاع الناس، كما حصل سنة (135هـ/ 752م) عندما قال: "أحوال الناس مضطربة وأسواقهم معطلة" [37]، ويبدو أن أحداث سنة (133هـ/ 750م) بالموصل ظل تأثيرها قائما على الأسواق بدليل انه في سنة (136هـ/753م) يصف الموصل بأنها ظلت مضطربة وعمارتها ناقصة[38] ولا شك ان تأثير ذلك جاء بسبب الاضطراب السياسي الذي انعكس على الاضطراب الاقتصادي؛ على الرغم من بعض المعالجات التي قام بها الولاة في تلك المدة، ولا سيما عندما اقدم إسماعيل بن علي العباسي سنة (137هـ/754م) على نقل الأسواق التي كانت حول جامع الموصل إلى المقبرة ثم نقل المقبرة إلى الصحراء خارج الأحياء السكنية[39]. ويبدو انه حاول إصلاح حال تلك الأسواق عند نقلها بعد أن دب فيها الخراب في السنوات السابقة لتلك السنة، وبالمقابل فانه يذكر السنوات التي حصل فيها رخاء اقتصادي، لربما بسبب الاستقرار السياسي أو بتأثير عامل المناخ ووفرة الأمطار.

---

(36) نفسه 2/ 288.

(37) نفسه 2/ 3.

(38) نفسه 2/ 157.

(39) نفسه 2/ 161.

فالعاملان السياسي والاقتصادي لهما أثرهما البالغ على أحوال المدينة الإسلامية، لذلك يذكر الازدي أن أحوال الموصل سنة (144هـ/ 761م) كانت مستقيمة [40]، كما يذكر انه في سنة (207هـ/ 822م) رخص الطعام فيها بشكل كبير [41]، فهو يشير إلى تلك الأوضاع وينظر إلى حركة الاقتصاد نظرا لامتلاكه فكرا اقتصاديا، علما انه كان قاضياً - كما ورد آنفاً- والقضاة تهمهم متابعة الأحوال الاقتصادية للبلد، لان ذلك يتعلق بجزء من واجبهم.

ثالثاً: عمران المنشآت

توسعت المدينة الإسلامية بعد ان حكمها العرب المسلمون، ولم يكن هذا التوسع المدني وليد الصدفة، بل هو انعكاس لفكر استراتيجي وسياسة عمرانية واضحة قامت على أسس إسلامية باعتبار أن الإسلام دين مدني، كما ان زيادة العمران في المدينة الإسلامية يعني الرخاء والترف وكثرة الصنائع وازدهار العلم، وقلته يعني البؤس والضيق كما أوضح ذلك ابن خلدون عندما قال: متى ما استقر الناس واكملوا العمران انصرفوا إلى العلوم والصنائع، وجودة الصنائع – التي العلم من ضمنها – يكون على مقدار عمران البلد[42].

ولما كانت الموصل من المدن المهمة، فقد وصلتها الحضارة منذ تحيرها ونالت عناية العرب والمسلمين، فانعكس ذلك على تطورها العمراني، وقد تناولت كتب التاريخ والجغرافية والرحلات والتراجم ذكر المنشآت المعمارية في الموصل عبر العصور من أجل بيان ذلك التطور الحضاري الذي شهدته المدينة، وممن عني

---

(40) نفسه 2/ 167.

(41) نفسه 2/ 180.

(42) نفسه 2/362، 366.

بهذا الموضوع الازدي، فقد ذكر كثيراً من تلك المنشآت المعمارية منطلقاً من فكره العمراني؛ لأنه بلا شك كان يرى أن عمران المدينة يعكس تطورها وازدهارها وتقدمها الحضاري ولاسيما في فترات الاستقرار السياسي. فالخلفاء والولاة لهم دورٌ في تطور تلك المؤسسات العمرانية والخدمية من اجل تقديم الأفضل لتلك المدينة وسكانها، فضلاً عما كان يقوم به الناس من أعمار للدور والقصور والمحال والأسواق، ولا ننسى الازدهار الاقتصادي الذي يساعد على قيام حركة تجارية تؤدي إلى إنشاء أسواق جديدة ومراكز تجارية للتبادل التجاري، فكل ذلك وثقهُ الأزدي في تاريخه بفكر عمراني، متنبهاً إلى ذكر تلك العمائر والمشاريع، فمثلاً تحدث عن المسجد الجامع وأبوابه مع ذكر الأحداث التي شهدها ولاسيما سنة (133هـ/750م)[43]، كما فصل ببعض منشآت الجامع كالمنبر[44] مع ذكر الأسواق المحيطة به التي نقلها إسماعيل بن علي العباسي عندما قام بتوسيع الجامع وذلك سنة (137هـ/754م)[45]، كما أشار الازدي إلى عدد من المساجد في الموصل أمثال مسجد بني عمران [46] ومسجد بني مالك [47] ومسجد أبي حاضر [48] وغير ذلك، وهذه المساجد منها سميت بأسماء من كان يقيم فيها أو باسم الأسرة التي كانت تسكن في تلك المنطقة التي أنشئ فيها المسجد.

(43) المقدمة، 3/ 924، 990.

(44) الازدي 2/ 147، 199.

(45) نفسه 2/ 236-237.

(46) نفسه 2/167.

(47) نفسه 2/90.

(48) نفسه 2/ 92.

وبديهي ان وظيفة الجامع والمساجد للصلوات الخمس والجمعة فضلاً عن وظيفتها التعليمية، فهي مؤسسات تساهم في ازدهار الفكر الإنساني، لذلك فانها أخذت حيزاً كبيراً من فكر الازدي العمراني.

كما تطرق إلى دار الإمارة المتمثل في (المنقوشة) مع ذكر مؤسسه وهو والي الموصل يوسف بن يحيى بن الحكم –كما يذكر موقعها ولماذا سميت بالمنقوشة لأنها نقشت بالساج والفسيفساء [49] مما يدل على النظرة العمرانية الثاقبة للازدي التي جعلته يذكر التفاصيل الدقيقة لهذا البناء الذي يعكس اهتمام ولاة الموصل به.

ويحاول الازدي وهو يتكلم عن تاريخ الموصل أن يذكر القصور والدور التي كان يملكها الأمراء أو عامة الناس، فمثلا يذكر قصر هشام بن عبدالملك الذي بناه أثناء إقامته بالموصل والذي شاهده الازدي في (ق 4هـ) بدليل انه حدد موقعه في قطائع بني وائل في الربض الأسفل من الموصل [50] فضلاً عن ذكره دار الحارث بن الجارود، الذي حدد موقعه بالقرب من الجامع[51]، وكذلك دار الحاكة القريبة من سوق الحشيش الذي سكنته عائلة يحيى بن الحر بن يوسف بعد ان قتله إسماعيل بن علي العباسي وسيطر على داره (المنقوشة) وعلى أمواله سنة (135هـ/ 752م)[52] كما تحدث عن دار زياد الحداد الذي يقع في الربض الأسفل من المدينة وهو قريب من الأرض التي منحها المنصور لوائل الشحاجي الازدي [53]، وكذلك دار ابن

(49) نفسه 2/ 167، 197.

(50) نفسه 2/ 24.

(51) نفسه 2/ 24، 158.

(52) نفسه 2/ 149، 199.

(53) نفسه 2/ 157.

المعلوف التي تقع في محلة الحر بن صالح، وهي الدار التي سكنها قاضي الموصل عبدالله بن إدريس في زمن أبي جعفر المنصور[54] وغير ذلك.

ومن المرافق الجديرة بالعناية التي ذكرها الأزدي السكك والأحياء والمحال والأزقة والدروب، وكان اهتمامه بها كبيرا بسبب تحديده مواقع سكنى القبائل والأسر في الموصل، فهو لم يذكر تلك الأحياء فحسب بل ذكر مواقعها والذين سكنوها، فمثلا السكة الكبيرة حدد موقعها بين مربعة ابن عطاء ودرب دراج، وقال: سكنها نفيل بن جابر بن جبلة الازدي، وله فيها زقاق يعرف بزقاق نفيل في القرن الرابع الهجري [55]، وكذلك سكنها بنو الحشيش من بني سليمة [56]، وكذلك سكة جماع بن أحمد بن أسلم بن زيد السليمي الذي قدم الموصل مع جابر بن جبلة وسكن معه في هذه السكة[57].

كما أشار إلى الدروب التي سميت بأسماء المشاهير الذين سكنوها، وهو بذلك يحاول أن يظهر أهمية تلك المناطق التي جاءت من أهمية ساكنيها، أو انه قد حدث فيها حادث مشهور، فحاول الازدي أن يربط ذلك الحدث بتلك المنطقة، فمثلا يذكر درب بني اليا الطبيب والمجاور لبيعة مارتوما[58] في خزرج، ودرب بني ميدة الذي دخل منه سنة (190هـ/805م) والي الموصل خالد بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب[59] في الربض الأسفل من الموصل، كذلك درب بني هذيل الذي سكنته بنو

(54) نفسه 2/172.
(55) نفسه 2/ 181.
(56) نفسه 2/ 81.
(57) نفسه 2/ 91.
(58) نفسه 2/ 91.
(59) نفسه 2/ 244.

ثعلبة (بطن من القحطانية)، عندما وقع القتال بينهم وبين بني أسامة (بطن من العدنانية)[60].

أما الأزقة والمحال، فقد ذكر منها كثيراً من قبل زقاق جابر الذي ينسب إلى جابر بن جبلة الموصلي[61]، ومحلة باب سنجار التي سكنها بنو معن بن مالك عندما قدموا إلى الموصل، وهم المسيطرون على هذا المكان[62]، ومحلة بني عمران التي سكنها بنو الرواد وهم فرسان الموصل سنة (129هـ/746م) وظلت الدار إلى زمن الازدي[63]، وغير ذلك.

أما الأسواق فقد أوضح كثيراً منها وبذلك يمكن القول: إنه ربط بين فكره الاقتصادي الذي يبحث عن أنواع الأسواق واختصاصاتها ومستواها وبين فكره العمراني الذي يتضمن مواقع تلك الأسواق وامتداداتها، وبذلك يعطي الباحث فكرة جيدة عن سعة تلك الأسواق، ومن ثم مقدار نشاطها الاقتصادي. ومن ذلك سوق القَتَّابين [64] المختص ببيع (القَتَبِ) الذي يوضع على سنام البعير، وسوق الحشيش [65] المخصص لبيع علف الحيوانات، وهو مجاور لسوق القتابين والشعارين، وقريب من جامع النبي جرجيس، فضلاً عن سوق الطعام الذي تباع

(60) نفسه 2/ 310.

(61) نفسه 2/ 336.

(62) نفسه 2/ 113.

(63) نفسه 2/ 92.

(64) نفسه 2/ 92.

(65) نفسه 2/ 240.

فيه الحبوب كالحنطة والشعير [66] وهو قريب من الأسواق المذكورة آنفاً، وسوق الجسر القريب من جسر الموصل[67].

وسوق السراجين القريب من المسجد الجامع [68]، وسوق البزازين القريب منه[69] وغير ذلك، وهذه الأسواق تدل على الازدهار الاقتصادي في الموصل، مما حدا بالازدي ان يهتم بها.

ولما كانت الموصل مركز جذب للناس نظراً لأهميتها، لذلك فانه لابد من وجود أماكن لاستقبال الوافدين إليها، فأنشئت الخانات والفنادق لتكون مقراً للنزلاء والمسافرين، وفي الوقت نفسه كانت قريبة من الأسواق فتكون بمتناول التجار، فقد ذكر الازدي فندق دار الحواكين القريب من المنقوشة [70] وفندق إسماعيل [71] القريب منه، وخان إبراهيم المنسوب إلى إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي العباسي، وهو قريب من سوق الحشيش[72].

وفضلاً عن ذلك ذكره الكنائس والأديرة والحمامات وسور الموصل وجسر الموصل ومقابرها[73] وبذلك حفظ لنا أخبار تلك المنشآت التي تعكس تطور الفكر العمراني عند الازدي بكل أشكاله وأنواعه[74].

---

(66) نفسه 2/ 157.

(67) نفسه 2/ 197، 363.

(68) نفسه 2/ 203.

(69) نفسه 2/ 248.

(70) نفسه 2/ 248.

(71) نفسه 2/ 157.

(72) نفسه 2/ 197.

(73) نفسه 2/ 229، 251.

(74) ينظر مثلاً: 33، 69، 70، 96، 197، 244، 280، 284، 338.

Abstract

AL – 'A zdei's Archetectural Thought in his Book 'The History of Mosul'

Dr. Abdul -jabbar Hamed Ahmed [*]

Arab and Muslim historians, geoahraphers and philosophers have dealt, and through their Writings, with archetetural thought in the Islamic city. Among them is Abu Zakereya Al–'Azdei (died 945/334 H), the auther of (the History of Mosul). The second part of the book is available only. AL – 'Azdei dealt with the archetecture of the society, economy and buildings. He speaks about archetecture of the seciety, through his description of Mosul tribes and their inhabitance. He mentions, too Mosul scientists and Wala'at and their achievements. Besides, his reference to the lineage of Mosul people. His economic thought lurks in his dealing with economy and his mentioning the money of Bait-AL-Mal. He mentions also Mosul revenue. Futher more, he speaks about Mosul's markets and their functions and activities.

(*) Dept - of History - College of Arts / University of Mosul.

His archetectural thought concerning buildings is presented through his reference to the expansion of the city and its content of: Mosques, churches... AL-A zdei refers to Mosul streets, markets and dwelling places.